أطوار
خلق ذرية الإنسان
في القرآن
من منظور التفسير الموضوعي

بقلم

الأستاذ الدكتور/ مسعود أحمد أبو طالب

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

بكلية أصول الدين — بالقاهرة

إن مما يدعو إلى النظر ، ويهدى إلى إعمال الفكر ، فى أول نجوم آيات القرآن الكريم نزولا على رسول الله ﷺ ذكر آية — خلق الإنسان من علق — إثر ذكر عموم ما خلق الله تعالى فى كونه ، حيث يقول : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق .

ففى إختصاص خلق الإنسان بالذكر ، من بين سائر عموم ما خلق الله ، إيذان بالتكريم ، وهداية إلى البدء بإعمال الفكر ، فى آية خلق الإنسان نفسه ، استدلالا بها على وجوب الإيمان بالله الخالق — المنعم المتفضل بنعمة التربية والرعاية ، وتوالى الفضل والإحسان ، والقيام بحقه من الطاعة ، واليقين بما أخبر به من البعث فى الآخرة ، الذى يعد خلق الإنسان ، أحد أدلة إمكانه وحقيقة وقوعه ، لدى كل ذى بصر من الراشدين .

ولعظم شأن هذه الآية ، وهداياتها العديدة ، وآثارها الفائضة ، التى تستوعب سائر الناظرين ، والدارسين ، والباحثين من المتخصصين ، وخاصة المتخصصين ، على مر العصور وتتابع الأجيال ، فقد أسلفت الحديث فى حولية الكلية ، من عام أربعة عشر وأربعمائة وألف للهجرة النبوية ، عن آية خلق — أبى البشرية آدم عليه السلام — وبيان أطوار خلقه فى آيات القرآن ، وتفسير هذه الآيات . تفسيرا موضوعيا ، جامعا لهذه الآيات ، هاديا لمعانيها ، ومستجليا لدقائقها ، ومبينا لائتلافها ، دفعا لما يوهم من اختلافها ، ومستخلصا لمقاصدها ، درسا للدارسين ، ومعلما للباحثين فى المنهج الموضوعى من تفسير القرآن الكريم .

وتتمة للبحث : نعرض بإذن الله تعالى فى حولية الكلية من هذا العام لآية : — خلق ذرية الإنسان — وأطوار هذا الخلق فى آيات القرآن ، وتفسير هذه الآيات على نحو ما أسلفنا ، من التفسير الموضوعى ، الذى

يتجاوز فى فائدة درسه ، وعموم نفعه الدارسين وخاصتهم ، بل ويقضى على دعاوى الغافلين وغيرهم من الضالين والمضلين ، الذين يزعمون اليوم أنهم بعلومهم ومختبراتهم ، أصبحوا قادرين على تحقيق ما يرغبون ، من الإنجاب والذرية ، والإستنساخ والإستزراع ، غافلين أو متغافلين ، عن حقيقة معنى الخلق من العـــدم ، والإبداع والتصوير ، والإحاطة بدقائق المكونات ، ومختلف أسرارها ، التى هدى إليها القرآن الكريم ، فى بيانه الحكيم ، المنزل من الخلاق العليم ، آية جامعة لدلائل وجوب الإيمان بالله رب العالمين ، وشاهدة بصدق خاتم النبيين المرسلين سيدنا محمد ﷺ وهادية إلى اليقين بيوم الدين .

وذلك بلاغا للرسالة ، وأداء للأمانة ، والله تعالى من وراء القصد وهو حسبنا ، ونعم الوكيل .

أطوار خلق ذرية الإنسان

طور الماء المهين : اقتضت إرادة الله تعالى ، وحكمته البالغة ، أن يذكر بنى الإنسان ، فى قرآنه المجيد ، بآية خلقهم ، وهم فى أرحام أمهاتهم ، وأطوار هذا الخلق ، لما تدل عليه من الحقائق ، وترشد إليه من الدقائق ، وتبصر به كل ذى بصر منهم ، بواحد من جملة البراهين ، المتعددة والمتنوعة ، الهادية إلى وجوب إيمانهم بربهم وخالقهم ، وخالق هذا الكون كله ، بكل ما فيه ، من مختلف المكونات ، عظيمها ودقيقها ، فى الأرض وفى السموات وما بينهما .

وتنأى بهم عن الكفر والضلال ، الذى يضل به الغافلون ، ويفترى به الجاهلون ، ويزعمه الزاعمون ، من الدعاوى الزائفة ، والأباطيل الكاذبة ، التى يزعمونها فى هذا الشأن وفى غيره ، ودلائل الحق تنطق بفسادها ، بما جاءت به من الحق المبين ، الذى تتلى آياته وتسمع ، فى دنيا الناس ، بما صنعته أيديهم ، وفيها يقول تعالى : « الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين .

ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين »[1] .

فقد أخبر تعالى فى هذا البيان الحكيم ، أن من دلائل قدرته ، وبراهين عظمته ، البادية فى كونه ، أنه سبحانه قد أتقن وأبدع كل شىء أوجده فى هذا الكون ، إذ خلقه مهيئا ومعدا لما خلق له ، على وفق ما اقتضته حكمته البالغة ، التى تأخذ بالألباب — ألباب الراشدين — وتملأ قلوبهم إيمانا وإجلالا وخشية لله الخالق العظيم .

---

(١) الآية : ٧ ، ٨ من سورة السجدة المكية .

قال تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »[١] .

يقول ابن كثير فى تفسيره : أى إنما يخشاه حق خشيته العلماء ، العارفون به ، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير أتم ، والعلم به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر »[٢] .

وفى التحرير والتنوير لابن عاشور : والإحسان جعل الشىء حسنا — أى محمودا غير معيب ، وذلك بأن يكون وافيا بالمقصود منه ، فإنك إذا تأملت الأشياء ، رأيتها مصنوعة على ما ينبغى .

فصلابة الأرض مثلا للسير عليها، ورقة الهواء ليسهل إنتشاقه للتنفس، وتوجه لهيب النار إلى فوق ، أنها لو كانت مثل الماء ، تلتهب يمينا وشمالا لكثرت الحرائق ، فأما الهواء فلا يقبل الإحتراق »[٣] .

— وبدأ خلق الإنسان — آدم عليه السلام — من طين — وهو التراب المخلوط بالماء المقدر — حسب تقدير الله الحكيم — الذى خلق كل شىء بقدر .

قال تعالى : « إنا كل شىء خلقناه بقدر »[٤] .

وقال : « وخلق كل شىء فقدره تقديرا »[٥] .

وقد سبقت الهداية ، فى بيان أطوار خلق آدم عليه السلام ، إلى أن طور الطين ، هو الطور الثانى من أطوار خلقه ، بعد طور التراب ، الذى

---

(١) الآية : ٢٨ من سورة فاطر .
(٢) مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٤٦
(٣) التحرير والتنوير ج ١٠ ص ٢١٥
(٤) الآية : ٤٩ من سورة القمر .
(٥) الآية : ٢ من سورة الفرقان .

دلت عليه آيات القرآن ، وجاء ذكرها فى غير موضع من سوره ، لما اقتضته حكمة الله الحكيم العليم .

وفى روح المعانى للألوسى : « وبدأ خلق الإنسان — آدم عليه السلام — من طين — أو بدأ خلق هذا الجنس المعروف من طين ، حينما بدأ خلق آدم عليه السلام خلقا منطويا على فطرة سائر أفراد الجنس ، انطواء إجماليا منه »[١] .

« ثم جعل نسله » أى نسل هذا الإنسان — آدم عليه السلام — وذريته التى تنسل منه وتنفصل .

« من سلالة » من خلاصة وصفوة سلت وأخذت .

« من ماء مهين » من ماء بلغ من المهانة والحقارة والقلة حدا بليغاً .

وفى مفردات القرآن للراغب الأصفهانى : « النسل الانفصال عن الشىء .

يقال : نسل الوبر عن البعير ، والقميص عن الإنسان .

قال الشاعر : فسلى ثيابى عن ثيابك تنسلى .

والنسل الولد ، لكونه ناسلا عن أبيه[٢] .

قال تعالى : « ويهلك الحرث والنسل »[٣] .

وفى فتح القدير للشوكانى : سميت الذرية سلالة ، لأنها تسل من الأصل، وتنفصل منه .

---

(١) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ج٢١ ص٢٣٥
(٢) المفردات مادة : نسل .
(٣) الآية : ٢٠٥ من سورة البقرة .

ومعنى : « من ماء مهين ، لا خطر له عند الناس ، وهو المنى .

وقال الزجاج : من ماء ضعيف »[1] .

وفى حاشية العلامة الجمل على الجلالين: وقوله : « من ماء مهين ، أى كما أن آدم من سلالة من طين ، فلا يخالف ما فى سورة المؤمنون . لأن المذكور هنا صفة ذرية آدم ، والمذكور ثم صفة آدم »[2] .

هذا ولا يخفى عليك ، أن هذه السلالة المائية ، إنما ترجع فى أصلها إلى الغذاء ، الذى يتناوله الإنسان مما يخرجه الله تعالى له من نبات الأرض وثمارها ، فهى من الأرض ، وفيها تعود ، ومنها تخرج يوم القيامة ، كما أخبر بذلك فى قوله : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى »[3] .

وفى قوله : « فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم »[4] .

وفى وصف هذه السلالة المائية ، بما وصفت به هنا فى سياق الآيات المذكورة فى هذه السورة ، زجر لأولئك المكذبين بآيات الله ، المنزلة على رسول الله ﷺ ، المنكرين للبعث والحساب والجزاء ، مع وجود الدلائل العديدة الدالة عليه ، فى الآفاق وفى أنفسهم ، إذ أن القادر على خلق السموات والأرض وما بينهما ، والذى يدبر الأمر ، والذى أحسن

(١) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ج ٤ ص ٢٥٠

(٢) حاشية الفتوحات الإلهية ج ٣ ص ٤٩٧

(٣) الآية : ٥٥ من سورة طه .

(٤) الآيات : ٢٤ — ٣٢ من سورة عبس .

كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، وجعل نسله من سلالة من مهين ، لا يعجزه أن يبعثهم يوم القيامة ، ويجازيهم فى هذا اليوم بسوء العذاب ، وقد بدت عليهم سمات الخزى والندامة ، يوم لا ينفع الندم[1] .

وقد جاء ذكر وصف هذا الماء بهذا الوصف كذلك ، فى سياق الحديث عن أولئك المكذبين بيوم الفصل ، لمزيد زجرهم ، وتنبيههم على عظم غفلتهم عن آية خلقهم ، مع تأكيد وقوع هذا اليوم بمختلف المؤكدات والحقائق ، التى جاءت على نحو آخر من البيان القرآنى المعجز ، حيث يقول تعالى :

« إنما توعدون لواقع . فإذا النجوم طمست . وإذا السماء فرجت ، وإذا الجبال نسفت . وإذا الرسل أقتت ، لأى يوم أجلت . ليوم الفصل . وما أدراك ما يوم الفصل . ويل يومئذ للمكذبين .

ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين . إلى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون . .[2] .

يقول الصاوى على الجلالين : قوله : « ألم نخلقكم إلخ » .

هذا تذكير من الله تعالى للكفار ، بعظيم إنعامه عليهم ، وبقدرته على ابتداء خلقهم ، والقادر على الابتداء ، قادر على الإعادة ، ففيها رد على منكرى البعث »[3] .

وكما جاء وصف هذا الماء فى هذا الطور بهذا الوصف ، فقد جاء وصفه أيضاً بـ « الدافق » فى سياق قوله تعالى « والسماء والطارق » .

(١) راجع الآيات فى سورة السجدة .

(٢) راجع الآيات فى سورة المرسلات .

(٣) حاشية الصاوى على الجلالين ج ٤ ص ٣١٤

وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب . إن كل نفس لما عليها حافظ . فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على رجعه لقادر .

وفى وصفه بهذا الوصف ، فى سياق هـــذه الآيات ، هداية إلى قدرة الله تعالى ، والنظر فى آثار هذه القدرة البادية فيما أقسم به تعالى ، من السماء وكواكبها النيرة ، التى تثقب الظلام بضيائها ، وما على كل نفس من الحفظة من الملائكة التى تسطر عملها .

مع صريح الأمر هنا بالنظر وإعمال الفكر ، فيما خلق منه الإنسان ، وبيان أنه خلق من ماء دافق ، وفيه معنى الدفق والدفع والصب ، وهو معنى لم يذكر فى غير هذا الموضع من الآيات ، يهدى كل ناظر إلى الإيمان بقدرة الله تعالى ، البادية فى خلق الإنسان من هذا الماء ، الذى يخرج من بين صلب الرجل وفقار ظهره ، وترائب المرأة وهى عظام صدرها آية تبدد كل ظلمة ، وتنقشع بها كل جهالة .

وقال قتادة : يخرج من بـــين الصلب والترائب ، من بين صلبه ونحره »[٢] .

ثم التأكيد كذلك هنا على قدرة الله تعالى وأنه قادر على رجع هذا الإنسان ، وإعادته إليه بعد موته ، يوم تختبر السرائر ، ويظهر ما فى القلوب من العقائد ، وتتجلى الأعمال ، ويميز بين ما طاب منها وما خبث ، بهـذا الدليل القائم على النظر والاستدلال فى الأنفس وفى الآفاق وفى غيرها .

يقول ابن كثير : وقوله : « فلينظر الإنسان مم خلق » « تنبيه للإنسان

(١) الآيات : ١ — ٨ من سورة الطارق .
(٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٢٨ .

على ضعف أصله ، الذى خلق منه ، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد ، لأن من قدر على البداءة ، فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى »[١] .

هذا ولا تباين بين حقيقة الموصوف هنا بهذا الوصف ، والموصوف بذاك من قبل ، إذ الموصوف فى جميع هذه الآيات واحد ، هو هذا الماء ، الذى خلق الله تعالى منه الإنسان ، والمتغير هو صفته ، التى تدل كل منها على معـــنى متعلق بالموصوف ، مذكر بحقيقة يجب ذكرها ، وعدم الغفلة عنها .

• كما جاء ذكر اسم هذا الماء باسم « النطفة » و « المنى » فى جملة من آيات القرآن منها :

قوله تعالى : « أيحسب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يمنى »[٢] .

وقوله : « وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى »[٣] .

وقوله : « ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين »[٤] .

وقوله : « أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة »[٥] .

(١) انظر المرجع السابق من مختصر تفسير ابن كثير .
(٢) سورة القيامة آية ٣٦، ٣٧ .
(٣) سورة النجم آية ٤٥، ٤٦ .
(٤) سورة المؤمنون آية ١٣ .
(٥) سورة الكهف آية ٣٧ .

وقوله : « خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين »[1] .

إلى غير ذلك من نظائر هذه الآيات ، التى اشتملت على ذكر مادة النطفة والمنى فى القرآن ، وكل منهما إنما يهدى إلى معنى ودلالة تدل عليها مادته ، التى جاءت به .

فمادة النطفة إنما تدل على معنى النطف ، والنطف القطر ، من نطف ينطف وينطف ، بكسر الطاء وضمها فى المضارع ، ومنه قيل: ليلة نطوفة — أى دائمة القطر[2] .

وفى ذلك هداية أخرى إلى أن الله تعالى ، إنما خلق هذا الإنسان ، الذى كرمه ، ووهبه نعمة العقل والإدراك ، وجعله خليفة له فى أرضه ، يقيم فيها دينه وشرعه ، وفق ما اقتضته حكمته ، لما فيه خيره ، وحسن عاقبة أمره ، قد خلقه من هذه القطرة المائية القليلة ، التى تعود فى أصلها إلى ما يتغذى به هذا الإنسان ، مما أخرجه الله تعالى له من نبات هذه الأرض وثمارها ، التى هى أصل مادته المذكرة كذلك بالقدرة والفضل .

والهادية إلى أنه لا يمكن أن يخلقه دون حكمة وغاية ، أو يتركه هملا ، بلا تكليف وحساب ، وثواب وعقاب ، وإرشاده فى سياق هذه الآيات ، إلى أن القادر على خلقه من هذه النطفة ، لا يعجزه أن يبعثه يوم القيامة ويحييه ، كما أحياه من قبل ، ووهبه نعمة الحياة والتكليف ، الذى ميزه به عن غيره : وفيه كذلك إقامة للحجة عليه ، بما هداه إليه من أمر خلقه . وذكره به المرة بعد المرة ، والكرة بعد الكرة ، على هذه الأنحاء البيانية المقررة للحق ، بهذه الدلائل التى تقطع كل ريبة ، وتنفى كل شبهة .

---

(١) سورة النحل آية ٤ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ص ٤٥١٦ ط الشعب .

وفى ذكره باسم « المنى » دلالة على معنى الإمناء ، وهو الإراقة والإنزال .

يقول الشوكانى فى تفسيره : وسمى المنى منيا لإراقته .

ويقول : والنطفة الماء القليل — يقال : نطف الماء ، إذا قطر[1] .

وفى صفوة التفاسير : « ولما ذكر فى أول السورة — يعنى سورة القيامة — إمكان البعث ، ذكر فى آخر السورة ، الأدلة على البعث والنشور فقال : « أيحسب الإنسان أن يترك سدى » أى أفيظن الإنسان أن يترك هملا من غير بعث ولا حساب ولا جزاء ؟ وبدون تكليف بحيث يبقى كالبهائم المرسلة ؟ لا ينبغى له ولا يليق به هذا الحسبان .

« ألم يك نطفة من منى يمنى » الاستفهام للتقرير — أى أما كان هذا الإنسان نطفة ضعيفة ، من ماء مهين — يراق ويصب فى الأرحام ؟

ويقول : والغرض بيان حقارة حاله ، كأنه يقول : إنه مخلوق من المنى ، الذى يجرى مجرى البول »[2] .

« كما جاء وصف هذه النطفة بـ « النطفة الأمشاج » فى قوله تعالى : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج »[3] .

غير أن هذا الوصف ، إنما يفيد معنى آخر ، لم يذكر فيما سبق ذكره من الآيات ، إذ أنه يدل على معنى المشج ، وهو الخلط والمزج — أى خلط ماء الرجل بماء المرأة ، وفيه دلالة على أن الله تعالى إنما خلق الإنسان من نطفة ، اختلط فيها ماء الرجل بماء المرأة ، حيث لا يكون الولد إلا منهما معاً ، بتمام عملية الإنزال والتلقيح .

---

(١) فتح القدير ج ٥ ص ٢١٤

(٢) صفوة التفاسير للصابونى ج ٣ ص ٤٨٨

يقول ابن كثير فى تفسيره : « من نطفة أمشاج » أى أخلاط — والمشج والمشيج الشيء المختلط بعضه فى بعض »[1] .

« هذا وقد أظهرت التجارب العلمية الحديثة ، أن ماء الرجل إنما يحتوى على ما يسمى بالحيوانات المنوية — الذى تحتوى الدفقة منه على مئات الملايين ، والتى لا ترى بالعين المجردة ، وأن ماء المرأة إنما يحتوى على ما يسمى بالبويضة ، ولا تكون إلا واحدة فى كل شهر ، وأنه لا يلتقى بها من هذه المئات ، إلا حيوان منوى واحد — هو الذى تختاره الإرادة الإلهية ، لتلقيح هذه البويضة ، بما هيء لها من الوسائل ، فتكون البويضة الملقحة أو المخصبة ، ثم تأخذ هذه البويضة سبيلها إلى قرارها المكين ، وهو رحم المرأة ، الذى خلقه الله تعالى ، وأحكم خلقه ومكانه ، ليخلق فيه ويصور مايريده من الخلق والذرية ، حسب تقديره وإرادته وعلمه .

يقول الدكتور : محمد على البار :

« تفرز الخصية مئات الملايين من الحيوانات المنوية ، وفى كل دفقة منى ما بين مائتين إلى ثلاثمائة مليون حيوان منوى ، وإذا دققنا النظر فى كل حيوان منوى وجدناه كالقذيفة الصاروخية .

له رأس مصفح مدبب ، وله عنق صغير ، وله ذيل طويل ، بواسطته يتحرك وينطلق ، ليقطع المفاوز ، حتى يصل إلى البويضة أو يموت .

ورأس الحيوان المنوى المصفح ، لا يزيد عن خمسة ميكرونات و « الميكرون » واحد على المليون من الميتر ، وهو يحتوى على أسرار

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥١٤

الوراثة كاملة ، ينقلها من الأب إلى الإبن ، أو البنت على هيئة ٢٣ جسيما ملونا « كرو موسوما » .

وعلى قمة رأس الحيوان المنوى ، قلنسوة مصمتة مصفحة ، ذلك أن هذه القذيفة الموجهة ، تواجه أخطارا أثناء رحلتها الطويلة عبر المهبل ، فالرحم ، حتى تصل إلى قناة الرحم ، ومن ثم إلى البويضة ليتم التلقيح .

أما العنق القصير ، ففيه مصدر الطاقة لهذه القذيفة الموجهة ، وتسمى الميتوكوندريا أو المصورة الحية ، وهى تحول السكر إلى طاقة ، حتى تمد هذه القذيفة بحاجتها أثناء رحلتها الطويلة .

ويبقى الذيل موجها لحركة هذه القذيفة ، ومساعدا لها على السباحة فى خضم بحر المنى ، وأمواجه المتلاطمة ، فيضرب الحيوان المنوى بسوطه ، عبر هذه الإفرازات المتعاقبة ، حتى يصل إلى بغيته .

وليست كل الحيوانات المنوية على وتيرة واحدة ، فهى أمة كاملة ، بل أمم متكاملة ، فمنها القصير ، ومنها الطويل ، ومنها القوى ، ومنها الضعيف ، ومنها ذو الرأس ، ومنها ذو الرأسين ، ومنها من له رأس مدبب ، ومنها من له رأس ملتوى ، ومنها الذكور ، ومنها الإناث .

ونقصد بالذكور ، الحيوانات المنوية ، التى تحمل إشارة Y (واى) .

ونقصد بالإناث ، الحيوانات المنوية ، التى تحمل إشارة × .

وليست كل هذه الملايين من الحيوانات المنوية ، صالحة لتلقيح البويضة ، بل إن فيها ما يقرب من ٢٠ ٪ غير صالحة للتلقيح ابتداء ، ويموت منها عدد كبير أثناء الرحلة من الإحليل ، إلى قناة الرحم ، ولا يصل من هذه الملايين إلى البويضة ، القابعة فى الثلث الأخير ، من

قناة الرحم، إلا خمسمائة حيوان منوى فقط، ويفلح واحد فقط فى اختراق جدار البويضة السميك .

فإذا ولج رأس الحيوان المنوى، الذى اختارته يد القدرة الإلهية المبدعة، فسرعان ما تتحد النواتان، ويجتمع الشتيتان، وتكتمل الصبغيات إلى حدها المعلوم «٢٣» صبغيا من الأب «و٢٣» صبغيا من الأم، فتجتمع على شكل أزواج، ثم تبدأ الخلية الأمشاج، أو البويضة الملقحة بالانقسام .

ويقول: وحالما يتم التخصيب، وتتكون النطفة الأمشاج، من الحيوان المنوى والبويضة، تصنع يد القدرة للبويضة الملقحة، جدارا سميكا مصمتا، لا يمكن لأى حيوان منوى آخر اختراقة، كما أنها تخلع عنها تاجها المشع، الذى كان يغرى الحيوانات المنوية بالاقتراب منها .

ومنذ تلك اللحظة، تبدأ بالعمل الجاد، وتبدأ بالانشطار، الخلية تصبح خليتان، والخليتان أربع، وهكذا دواليك، حتى تتكون مئات الخلايا على هيئة ثمرة التوت، وعندئذ تسمى «التوتة» فإذا ما كبرت الكرة قليلا، صارما بداخلها مجوفا، وبه سائل رقيق، وعندئذ تدعى بالتكور الجرثومى، أو «البلاستولا»[1] .

«أقول: وبهذا البيان العلمى، الذى أفاض فيه الباحثون، من أهل الاختصاص، وكشفوا فيه عما يحمله ماء الرجل من هذه الحيوانات

(١) انتهى ملخصا ومختصرا من كتاب «خلق الإنسان بين الطب والقرآن»

المنوية، التى تعد بمئات الملايين فى الدفقة الواحدة، وعن ماء المرأة الذى لايحتوى إلا على بويضة واحدة شهرية، وأنه لا يلتقى بها من هذه الحيوانات إلا حيوان منوى واحد، هو الذى تختاره إرادة الله تعالى، فيلقح هذه البويضة، بالتقاء ماء الرجل بماء المرأة ومشجهما ببعضهما، ليكون المقدر من الخلق، الذى لا دخل لأحد من الخلق فى أمر خلقه وتخليقه، وإبداع مكوناته وانقسام خلاياه، التى أحاط الله تعالى بها علما، دون سبق خفاء أوجهل، لمنافاته لكمال علمه .

«وهنا لابد وأن نبصر ونبصر، بأن الله تعالى هو وحده، الخالق لهذا الحيوان المنوى وبويضته مع وحدة الغذاء فيهما، وهو المؤلف بينهما بما خلقه من الوسائل، وهو الذى وجه هذه البويضة الملقحة إلى قرارها المكين، الذى خلقه وأحكم خلقه، وأعده لاستقبالها، وفق ما اقتضته حكمته، وهو المخلق لدقائق هذه البويضة وخلاياها، وانقساماتها، لادخل لأحد من الخلق كل الخلق فى شىء من ذلك، مهما أوتو من العلوم والمعارف والوسائل .

فليست هذه العلوم، ولا تلكم المعارف التى يتحدث عنها اليوم .خالقه ولامبدعه، ولامانحة للحياة والنماء والإنماء، إنها دون ذلك كله، وستظل كذلك ما بقيت هذه الحياة، وظل الناس فيها يبحثون ويعملون، ويجدون فى البحث والتخصص والاختصاص .

وقد أرشد تعالى إلى تلك الحقيقة، فى محكم تنزيله، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وذلك منذ أن أنزله على عبده ورسوله سيدنا محمد ﷺ حيث قال :

«يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا

لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز »[1] .

ففى هذا النداء الجامع ، الذى يشمل الناس كل الناس ، على اختلاف شعوبهم وأوطانهم وزمانهم ، هداية لهم إلى ما ضرب لهم من المثل الواضح المؤثر ، الذى لا يشتبه على أحد منهم فهمه ، ولا يستغلق عليهم إدراكه ، مع الأمر بالاستماع إليه ، والمبالغة فى ذلك ، ليتم لهم فقه معناه ، على ما يجب أن يكون عليه الفقه السوى الصحيح ، وهو أن كل الذين يدعونهم ، ويتوجهون إليهم بالدعاء والرجاء ، لتحقيق ما يرغبون ، أيا كانوا من غير الله تعالى ، لن يقدروا على خلق وإيجاد أضعف المخلوقات ، وأقلها شأناً لديهم ، وهو الذباب ، لتمام عجزهم عن الخلق ، الذى هو من شأن الله الخالق وحده .

وقد جاء هذا النفى كما ترى ، بأداة النفى المفيدة للتأبيد والاستغراق الذى يشمل الزمان كله إلى يوم أن تقوم الساعة .

« لن يخلقوا » فى أى زمان ، وفى أى مكان ، أيا كان هؤلاء المدعوين ، وأيا كان شأنهم وعلمهم ومعارفهم .

وفى قوله ، « ولو اجتمعوا له » دلالة أخرى على تمام هذا العجز ، مهما حاولوا من تضافر القوى واجتماعها ، وبذل أقصى الطاقات على اختلاف أنواعها وسبلها .

و بينت أنهم أضعف من ذلك ، إذ أنهم لا يقدرون على مجرد انقاذ ما يسلب الذباب منهم عنوة وقهرا . « وإن يسلبهم الذباب شيئاً — أى شىء قل أو كثر — لا يستنقذوه منه ، مهما جدوا فى إنقاذه ، وختم ذلك بالحقيقة الحقة ، الدالة على ضعف الطالب والمطلوب ، وأنهم ما قدروا الله ، وما علموا

(١) الآية ٧٣ ، ٧٤ من سورة الحج .

مقدار ما ينبغى له سبحانه من الإجلال والتعظيم ، والإقرار بأنه وحده الخالق ، الذى بيده الخلق والأمر ، وهو القوى العزيز ، الذى لا يعجزه شىء ، « ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز » .

• تلك هى الحقيقة ، أردت أن أعجل بذكرها فى صدر هذا البحث ، المتعلق بقضية الخلق والإيجاد ، لدفع كل ما يمكن أن يتوهم أو يتصور ، من الدعاوى الزائفة ، والأباطيل الكاذبة ، التى يزعمها أدعياء العلم ، فى هذا الشأن ، وأنهم بعلومهم ومختبراتهم وأنابيبهم ، أصبحوا قادرين ، على إيجاد الذرية ، وما أسموه اليوم بالاستنساخ ومن قبل بأطفال الأنابيب ، غافلين أو متغافلين عن حقيقة معنى الخلق والإبداع ، الذى هو الإيجاد من العدم ، والذى هو من شأن الله تعالى وحده ، وهو ما يبصره ويوقن به الفطناء ، من أهل الاختصاص ، بل والعامة من أهل الفطرة المستقيمة ، التى لم تدنسها الأهواء ، ولم تصرفها عن الهدى معهم فى ذلك ، ويدينون به ويعتقدونه ، دون دخول منهم فى تفاصيل هذه الحقيقة ، وأبحاثها وعلومها .

والأمر فى هذا بين ، لا يحتاج إلى ذكر مزيد من الاستشهاد ، لكنى هنا استشفع بذكر هاتين الحقيقتين دون غيرهما .

الأولى : أن الحارث الذى يحرث الأرض ويهيئها للزراعة ، لا يعد منبتا ولا زارعا ولا منمياً ، ولا ما نحا للحياة ولا خالقاً للشجر ولا للثمر ولا لغيره ، إن عمله كما هو بين لا يجاوز غير الحرث وإثارة الأرض ، وإلقاء البذر ، أو غرس الغرس فى تربة هذه الأرض ، حتى يصبح فيجد الأرض مخضرة « بما بدا على وجهها من نبات ما ألقى أو غرس ، مما لا يعلم عنه شيئاً بعد إلقائه له ، أو غرسه لما غرسه فيها .

وقد بين تعالى تلك الحقيقة ، بعد بيانه لحقيقة اختصاصه بخلق الإنسان من المنى ، وذلك حيث يقول : أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل

أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون . ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون .

أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون . إنا لمغرمون . بل نحن محرومون »(١) :

وقد أكد تعالى هذا الجعل دون غيره ، لما فيه من شائبة ملك وعمل للإنسان ، حيث قال « لو نشاء لجعلناه حطاماً » .

والثانية : أن المهندس ، الذى يقوم بصنع المركبة أو الجهاز ، لا يعد كذلك خالقاً لمواد أجزائه ومكوناته من العدم ، بل إنه ليس خالقاً لفكره وإدراكه الذى يعمل به ، والذى لولاه لما أمكنه أن يعد ذلك أو يهيئه ، إن طاقته لا تعد وهذا الإعداد ولا تلك التهيئة التى قامت على التجربة ، والله تعالى منزه عن كل ذلك ، فانتبه لهذا ولا تكن من الغافلين .

قال تعالى : أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون »(٢) .

وقال : « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار »(٣) .

وقال : « الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل »(٤) .

إلى غير ذلك من الآيات ، التى تتابعت فى القرآن الكريم ، المنزله

(١) الآيات : ٥٨ - ٦٧ من سورة الواقعة .

(٢) الآية : ٣٥ ، ٣٦ من سورة الطور .

(٣) « : ١٦ من سورة الرعد .

(٤) « : ٦٢ من سورة الزمر .

من لدن حكيم خبير ، لتقرر فى بيان واضح ، أن هذا الكون كله بكل ما فيه ، هو خلق الله تعالى وحده ، لا دخل لأحد من الخلق فى ذلك وأنه ما أشهدهم هذا الخلق .

قال تعالى : « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا »(١) .

بهذا وغيره فدع عنك هـذه الأباطيل الكاذبة ، وأوهام أهلها ، ووساوس شياطينهم ، التى تزين لهم سوء أعمالهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وذلك بما استبان لك من الحق المبين ، الذى يهدى إلى أن الخالق المبدع من العدم هو الله تعالى ، الذى قال وقوله الحق . هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين »(٢) .

• وأعود بك إلى النطفة الأمشاج ، لبيان مدة طورها فى قرارها المكين ، وقد هدى إليها رسول الله ﷺ النبى الأمى ، وحدث أصحابه بها ، وحدثوا بما ينطق بحقيقة صدقه وتصديقه فى كل ما جاء به ، حيث يقول ابن مسعود رضى الله عنه :

حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق ، أن أحدكم يجمع خلقه فى رحم أمه ، أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله الملك ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات .

بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد .. إلخ(٣) .

والحديث بهذا الهدى النبوى الكريم . إنما يرشد إلى أن مدة تمام طور

(١) الآية : ٥١ من سورة الكهف .

(٢) « : ١١ « لقمان :   (٣) متفق عليه .

النطفة الأمشاج فى الرحم « تبلغ أربعين يوماً . وهى كذلك مدة تمام طور العلقة ،وطور المضغة .

ومن المقطوع به يقينا ، أن وراء كل يوم من هذه الأيام ، ما وراءه من دقائق الخلق والإبداع ، مما لا يحيط به إلا الله الخالق وحده .

ويعد الإخبار بذلك من الدلائل التى تقرر حقيقة صدق الرسول ﷺ وأنه لا ينطق عن الهوى ، وهو ما يجب الإيمان واليقين به .

وبهذا يتضح لنا معانى آيات طور الماء المهين فى القرآن الكريم ، وما اشتملت عليه هذه الآيات من مختلف الدقائق ، التى تبصر كل منها بمعنى من المعانى ، المتعلقة بهذا الماء ، الذى خلق الله تعالى منه ذرية الإنسان ، وما يجب الإيمان به من الحق المبين ، دون غيره من الدعاوى الزائفة ، والأباطيل الكاذبة ، التى يزعمها أدعياء العلم ، فى هذا الشأن ، والعلم بمدة طور هذا الماء ، الذى يجمعه الله تعالى ويخرجه من بين الصلب والترائب ، ليكون المقدر من الخلق .

• • •

طور العلقة : وفيه يقول تعالى : « فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة »(١) .

ويقول : « ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة »(٢) .

ويقول : « ألم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة »(٣) .

ويقول : « خلق الإنسان من علق »(٤) .

إلى غير ذلك من النظائر ، التى اشتملت على ذكر العلقة فى القرآن ، ودلت على أن طور العلقة ، هو الطور ، الذى يلى طور النطفة ، بعد انتهاء طورها المقدر ، الذى قدره الله تعالى ، وبينه رسول الله ﷺ .

والعلقة هى : قطعة من الدم حمراء ، متكونة من بويضة النطفة الأمشاج بعد انتهاء طورها المقدر ، عالقة بجدار الرحم .

وقد تعلقت به ونشبت ، لما اقتضته إرادة الله تعالى وحكمته البالغة ، تحقيقا لمراده ، من نمو خلاياها ، وتقدير مكوناتها حسب تقديره ، فى هذا الطور الجديد .

يقول أبو السعود فى تفسيره : « ثم خلقنا النطفة علقة » أى دما جامدا ، بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء »(٥) .

---

(١) الآية : ٥ من سورة النجم .
(٢) « : ١٣ ، ١٤ من سورة المؤمنون .
(٣) « : ٣٧ ، ٣٨ « « القيامة .
(٤) الآية : ٢ من سورة العلق .
(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج ٦ ص ١٢٦

ويقول الدكتور : « البار » العلقة هى المرحلة التى تكون النطفة الأمشاج ، وتبدأ منذ تعلق النطفة الأمشاج « مرحلة التوتة » بالرحم ، وتنتهى عند ظهور الكتل البدنية ، التى تعتبر بداية المضغة .

ويقول : وقد نقل عن المفسرين القدامى ، وكثير من المحدثين قولهم: إن العلقة هى دم غليظ متجمد ، وجميع الترجمات لمعانى القرآن ، فسرت العلقة بالدم المتجمد .

وشذ عن ذلك الأطباء ، الذين تعرضوا لمعنى العلق ، واتفقوا على أن العلقة هى : المرحلة التى تعلق فيها النطفة الأمشاج « التوتة » بجدار الرحم ، وتنشب فيه .

يقول : ونحن نتفق معهم فى ذلك تماما ، وسنزيد الأمر تفصيلا :

العلقة فى اللغة : جاء فى المصباح المنير — أعلقت ظفرى بالشىء أنشبته ، وعلقت الشىء بغيره فتعلق ، وعلق الوحش بالحبالة علوقا — أى تعلق ، وعلقت المرأة ، أى حبلت .

ثم يقول : ومما تقدم يتضح أن لفظ العلقة ، يطلق أساساً على كل ما ينشب ويعلق ، وكذلك تفعل العلقة ، إذ تنشب وتعلق فى جدار الرحم ، وتنغرز فيه ، وتكون العلقة محاطة بالدم المتخثر — أى المتجمد — من كل جهاتها ، وإذا عرفنا أن حجم العلقة عند انغرازها ، لا يزيد عن ربع مليمتر ، أدركنا على الفور ، لماذا أصر المفسرون القدامى ، على أن العلقة هى الدم الغليظ .

فالعلقة لا تكاد ترى بالعين المجردة ، وهى مع ذلك محاطة بالدم من كل جهاتها ، فتفسير العلقة إذن بالدم الغليظ ناتج عن الملاحظة بالعين المجردة ، ولم يبعد بذلك المفسرون القدامى عن الحقيقة كثيراً .

ويسترسل الدكتور « البار » فى حديثه عن العلقة ، وطبقاتها الداخلية

والخارجية ، وانقساماتها فى علم الأجنة ، وتفصيل القول فى ذلك ، حسب مقتضى دراسة أهل الاختصاص فى هذا الشأن(١) .

والذى يعنينا فى هذا المقام ، من التفسير الموضوعى لآيات هذا الطور ، أن نبصر بأن هذا الطور ، الذى تعددت بذكره الآيات كذلك ، وتنوعت فى بيانه الأساليب والعبارات ، إنما تهدينا فى كل نحو منها ، إلى معنى وغاية كذلك ، اقتضتها حكمة الله تعالى ، الذى أحكم جميع هذه الآيات ، فى مواضعها من سورها ، هدايه أخرى إلى بالغ حكمته ، وإرادته ، وعلمه ، وتبصرة بطور آخر ينطق بقدرته ، ويذكر بعظمته ، تقريرا لوجوب مزيد معنى الإيمان به تعالى ، وبرسوله ﷺ وبما أنزل عليه من كتاب ربه ، الذى أنزله ، تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .

وإن ما تجدر الإشارة إليه هنا ، فى ذكر هذا الطور وما قبله ، أن العطف فيهما جاء « بثم » حيث يقول تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة » .

ويقول : « ألم يكن نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة » .

وذلك — والله أعلم — لما بين هذه الأطوار من التراخى الزمنى ، فبين تحويل الغذاء الذى يعود فى أصله إلى مادة الطين ، وما يخرج منه ويتحول إلى مايتحول إليه ، فاصلا زمنيا مقدرا ، أحاط به علم الله تعالى .

وبين خلق النطفة علقة ، وإيجاد مكوناتها ودقائقها مثل ذلك ، لما اقتضته حكمته البالغة — والله على كل شىء قدير .

كما تجدر الإشارة إلى ذكر مادة « الخلق » فى بعض هذه الأطوار ، والجعل فى البعض الآخر منها ، حيث قال تعالى فى طور سلالة الطين :

---

(١) انظر كتابه : خلق الإنسان بين الطب والقرآن .

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » بمادة « خلق » الدالة على إيجاد الشيء وإبداعه من غير أصل ولا احتذاء .

وقال فى طور « النطفة » « ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » بمادة « جعل » الدالة على معنى التحويل والتصيير .

وقال فى طور « العلقة » « ثم خلقنا النطفة علقة » بمادة « خلق » الدالة على معنى الإيجاد من العدم « والخلق لما لم يكن موجودا وإبداعه » على نحو ما اقتضته الحكمة .

وهذه وتلك من الدقائق القرآنية ، التى تهدى الباحثين فى القرآن العظيم ، إلى إعمال الفكر والتدبر ، فى كل مفردة من مفردات آيات هذا التنزيل الحكيم ، وبيان ماتهدى إليه من المعانى والأسرار ، التى تشهد بإعجاز هذا التنزيل ، ودقائق أنواع هذا الإعجاز وبراهينه .

كما أن فى إسناد هذا الخلق والجعل ، إلى الله تعالى ، بالضمير الدال على عظمته ، هداية إلى عظم شأن هذا الخلق والجعل ، وبيان أنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى العلى العظيم ، الذى أحاط علمه بدقائق هذا الخلق وأسراره ، وإبداع جعله وإحكامه ، وفق ما اقتضته حكمته تعالى .

يقول الأستاذ : عبد الرزاق نوفل :

« أثبت العلم أن الإنسان ، يتكون فى أصله من خلية واحدة ، هذه الخلية تكون الصلب من العظام ، ونصف الصلب من الغضاريف ، والرخو من اللحم ، وهى نفسها تكون اللزوج من الأنسجة ، والسائل من الدماء ، وتكون نفسها طبقات الجلد الرقيقة ، وأهداب العين الدقيقة .

وهذه الخلية يتكون منها زيادة على ذلك ، السمع والبصر والفؤاد .

وهذه الخلية ، عبارة عن حياة معقدة ، أمكن للعلم أن يكتشف مكوناتها وتراكيبها ، ويقيس حركتها ، وتحليل مادتها ، وطريقة انقسامها .

أما سر الحياة فيها ، فهو ما وقف العلم والعلماء عنده ، يعترفون بأن هنا « الله » .

ويقول : وفى سنة ١٩٦٤ م سجد العلماء للقدرة الخارقة ، عندما اكتشفوا وجود مواد غير معروفة التركيب فى الخلية ، وعملها دفع الضرر عن الخلية ، وحفظ الحياة فيها ، فكيف تعرف ذلك ؟ وكيف تفعله ؟ الله وحده أعلم »[1] .

ويقول الأستاذ : سيد قطب :

« وهذه الخلية الواحدة ، تبدأ فى الانقسام والتكاثر ، فإذا هى بعد فترة ملايين من الخلايا ، كل مجموعة من هذه الخلايا الجديدة ذات خصائص ، تختلف عن خصائص المجموعات الأخرى ، لأنها مكلفة أن تنشىء جانبا خاصا من المخلوق البشرى » .

فهذه خلايا عظام ، وهذه خلايا عضلات ، وهذه خلايا أعصاب ، وهذه خلايا لعمل عين ، وهذه خلايا لعمل لسان ، وهذه خلايا لعمل أذن ، وهذه خلايا لعمل غدد ، وهى أكثر خصوصية من المجموعات الأخرى السابقة ، وكل منها تعرف مكان عملها .

فلا تخطىء خلايا العين مثلا ، فتطلع فى البطن ، أو فى القدم ، مع أنها لو أخذت أخذا صناعيا ، فزرعت فى البطن مثلا ، صنعت هناك عينا .

---

(١) انظر كتابه الله والعلم الحديث .

ونكن هى وبالهاتها لا تخطىء ، فتذهب إلى البطن ، لصنع عين هناك ، ولا تذهب خلايا الأذن إلى القدم لتصنع أذنا هناك ، إنها كلها تعمل وتنشىء هذا الكيان البشرى ، فى أحسن تقويم ، تحت عين الخالق ، حيث لا عمل للإنسان فى هذا المجال »[1] .

تلك هى العلقة ، وآياتها الدالة على طورها فى القرآن ، وترتيبه المحكم ، وقد هدى الرسول ﷺ إلى أن مدة طورها ، تبلغ كذلك أربعين يوما أخرى ، وراءها من أسرار الخلق والتقدير ما يزيد من نماء الإيمان بالله تعالى الخالق ، والتصديق برسالة برسوله ﷺ ، وما أخبر به من الحق ، المطابق لعين الحقيقة والواقع ، فى قلب كل ذى بصر من الواشدين .

• • •

(١) انظر فى ظلال القرآن ج ٦ ص ٤٥٦٤

طور المضغة : وفيه يقول عز ذكره : « فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة »[1] .

ويقول : « فخلقنا العلقة مضغة »[2] .

أى فخلقنا العلقة ، بدقائق مكوناتها وخلاياها العديدة ، التى أحاط علم الله تعالى بها عقب إنتهاء طورها المقدر مضغة .

والمضغه هى : قطعة قليلة من اللحم قدر ما يمضغ .

يقول فى المصباح : « سميت بذلك لأنها مقدار ما يمضغ »[3] .

ويقول الراغب الأصفهانى : المضغة القطعة من اللحم ، قدر ما يمضغ ولم ينضج .

قال الشاعر : يلجلج مضغة فيها أنيض — أى غير منضج .

وجعل إسما للحالة ، التى ينتهى إليها الجنين بعد العلقة »[4] .

(١) الآية ٥ من سورة الحجم .
(٢) الآية ١٤ من سورة المؤمنون .
(٣) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى مادة : مضغ .
(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن مادة : مضغ .

ويقول القرطبي فى تفسيره : وهى لحمة قليلة قدر ما يمضغ .

ومنه الحديث : « ألا وإن فى الجسد مضغة »[1] .

وفى هذه القطعة اللحمية ، التى يخلقها الله تعالى من العلقة ، يخلق كذلك فيها ما يشاء ، مما إقتضت الإرادة خلقه وإيجاده ، فى طورها الجديد ، حيث يقول تعالى « فخلقنا العلقة مضغة » بمادة « خلق » .

يقول الدكتور « البار » أيضا وقد كان المفسرون القدامى يصفون المضغة ، بأنها مقدار ما يمضغ من اللحم ، وقد ذهبت إلى ذلك فى الطبعة الأولى .

ولكن بعد إعادة النظر والمناقشة ، أرى الآن أن وصف المضغة ينطبق تمام الإنطباق على مرحلة الكتل البدنية ، إذ يبدو الجنين فيها وكأن أسنانا إنغرزت فيه ولاكته ، ثم قذفته »[2] .

أقول : ولا أرى مباينة بين المعنى الذى ذهب إليه أهل اللغة والتفسير ، وبين ما ذكر الدكتور « البار » إذ أن ما ذهب إليه هؤلاء يشهد بعدم هذه المباينة ، لما يحدثه المضغ بالأسنان فى القطعة اللحمية من ظهور الكتل ، التى أشار إليها .

مع مايكفينا هنا فى هذا المقام ، من معرفة طور المضغة ، الذى هدت إليه آيات القرآن ، عقب طور العلقة ، وأن الله تعالى خلق هذه العلقة بما خلقه فيها فى طورها ، قطعة لحمية تحقيقا لما أراد ، وفى هذه القطعة اللحمية ، خلق كذلك ما إقتضت الإرادة والحكمة خلقه ، فى طورها الجديد ، المقدر كذلك بأربعين يوما ، وراءها من الأسرار مايزيد من نماء

(١) الجامع لأحكام القرآن ص ٤٥٦١ ط الشعب .
(٢) انظر كتابة المذكور السابق .

الإيمان بالله تعالى ، ويقرر حقيقة وجوب التصديق بالرسول ﷺ وبالرسالة ، وبما أخبر به من الحق ، المطابق لعين الحقيقة والواقع ، وأنه ﷺ كما قال الله تعالى « وماينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى »[1] .

تخليق المضغة : وفيه يقول تبارك وتعالى : « فخلقنا المضغة عظاما »[2] أى فخلقنا المضغة اللحمية ، عقب إنتهاء طورها المقدر ، عظاما قوية صلبة ، متعددة ومتنوعة باعتبارها أساس بنية هذا الذى أراد الله تعالى خلقه من هذه المضغة ، وبها تظهر معالمه وصورته ، على نحو ماأراد الخلاق العليم ، بعد أن كان قطعة لحمية لا شكل فيها ولا تخطيط .

وقد جاء قوله جل شأنه « ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم »[3] ليفيد أن هذه المضغة ، التى خلقها الله . إما أن تكون مخلقه — أى مستبينة الخلق والصورة ، بإرادة الله تعالى وأمره .

وإما أن تكون غير مخلقة — أى غير مستبينة الخلق والهيأة ، دلالة على مطلق هذه الإرادة ، وأنه سبحانه يفعل ما يشاء ، لاراد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، ولذا يقول : « لنبين لكم » أى لنظهر ونوضح لكم أيها المخاطبون من بنى الإنسان ، كمال إرادتنا ، وبرهان قدرتنا ، بهذا البرهان الجلى ، من أمر هذه المضغة .

يقول الألوسى فى تفسيره : « والمشهور المتبادر أن المخلقة المستبينة الخلق — أى مضغة مستبينة الخلق مصورة ، ومضغة لم يستبن خلقها وصورتها بعد .

(١) الآية ٣ ، ٤ من سورة النجم .
(٢) الآية ١٤ من سورة المؤمنون .
(٣) الآية ٥ من سورة الحج .

ويقول : والمراد تفصيل حال المضغة ،وكونها أولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ، ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا .

ويقول : وكان مقتضى الترتيب ، المبنى على التدرج ، من المبادىء البعيدة إلى القريبة،أن يقدم غير المخلقة ، وإنما أخرت لكونه عدم ملكة .

وصيغة التفعيل — أى فى قوله : « مخلقه » لكثرة الأعضاء ، المختص كل منها بخلق وصورة »[1] .

ويقول ابن كثير فى معنى قوله : « ثم من علقة ثم من مضغة » وذلك أنه إذا إستقرت النطفة فى رحم المرأة ، مكثت أربعين يوما كذلك ، يضاف إليه ما يجتمع إليها ، ثم تنقلب علقة حمراء بإذن الله ، فتمكث كذلك أربعين يوما ، ثم تستحيل فتصير مضغة ، قطعة من لحم ، لا شكل فيها ولا تخطيط ، ثم يشرع فى التشكيل والتخطيط ، فيصور منها رأس ويدان ، وصدر وبطن ، وفخذان ورجلان ، وسائر الأعضاء .

ويقول : فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط ، وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط ، ولهذا قال تعالى : « ثم من مضغة مخلقه وغير مخلقة » أى كما تشاهدونها »[2] .

« كسوة العظام لحما » وفى ذلك يقول سبحانه: «فكسونا العظام لحما»[3]

أى فسترنا وغطينا العظام المتعددة والمتنوعة باللحم، الذى يشدها ويقويها ويجعلها ملتحمة بعضها ببعض فى بناء واحد . آية أخرى شاهدة بالقدرة ، ناطقة بالعظمة ، داعية إلى الإقرار بالفضل والمنة ، هادية إلى الحكمة ، حكمة الله الحكيم العليم ، الذى جعل على كل عظم ما يناسبه من كسوة اللحم ودقائقه .

(١) روح المعانى ج ١٧ ص ١١٦

(٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٣٠

(٣) الآية ١٤ من سورة المؤمنون .

يقول الألوسى فى تفسيره : « وذلك اللحم ، يحتمل أن يكون من لحم المضغة ، بأن لم تجعل كلها عظاما ، بل بعضها ، ويبقى البعض الآخر ، فيمد على العظام حتى يسترها .

ويحتمل أن يكون لحما آخر ، خلقه الله تعالى على العظام ، من دم فى الرحم .

ويقول : وجمع العظام دون غيرها مما فى الأطوار ، لأنها متغايرة هيئة وصلابة ، بخلاف غيرها ، ألا ترى عظم الساق ، وعظم الأصابع ، وأطراف الأضلاع »[1] .

أقول : ومما تجدر الإشارة إليه هنا فى ذكر هذه الأطوار ، أنها جاءت معطوفة بالفاء ، بخلاف ما قبلها فقد عطفت كما سبق بيانه « بثم » ، للدلالة على معنى التعقيب فيها — والله أعلم — .

وفى هذا يقول الجمل على الجلالين : « اختلاف العواطف بالفاء ، وثم ، لتفاوت الاستحالات ، يعنى أن بعضها مستبعد حصوله مما قبله ، وهو المعطوف بثم ؛ فجعل الإستبعاد عقلا أو رتبة بمنزلة التراخى والبعد الحسى ، لأن حصول النطفة من أجزاء ترابية غريب جدا ، وكذا جعل النطفة البيضاء دما أحمر ، بخلاف جعل الدم لحما ، مشابها له فى اللون والصورة ، وكذا تصليبها حتى تصير عظما ، لأنه قد يحصل ذلك بالمكث فيما يشاهد ، وكذا مد لحم المضغة عليه ليستره ، فسقط ما قيل : إن الوارد فى الحديث ، أن مدة كل استحالة أربعون يوما ، وذلك يقتضى عطف الجميع بثم ، إن نظر لآخر المدة وأولها . أو يقتضى العطف بالفاء ، إن نظر لأخرها فقط ا . هـ يقول : انتهى من الشهاب مع تقديم و تأخير .

(١) روح المعانى ج ١٨ ص ١٤

ويقول : وهذا فى العواطف الخمسة الأول ، وأما قوله : « ثم أنشأناه خلقا آخر » ، فعطفه بثم ، للتفـــاوت بين الخلقين . كما فى البيضاوى[١] .

إنشاء المخلق خلقا آخر : وفيه يقول جل شأنه « ثم أنشأناه خلقا آخر » أى ثم أنشأنا هذا المخلق ، بعد تخليقه وتصويره ، خلقا آخر مباينا للمخلق الأول ، وذلك بنفخ الروح فيه ، ذلك الروح الذى اقتضت إرادة الله تعالى وحكمته ، أن لا يطلع أحدا من خلقه على حقيقة أمره ، لتظل الحياة فى هذا المخلق وفى غيره من سائر المخلوقات من الأحياء ، مرهونة بإرادة الله وحده ، وهى آية الآيات ، التى استأثر سبحانه وتعالى بعلم حقيقة أمرها وسرها .

الأمر الذى يدل على أن ما أوتى البشر ، من العلوم والمعارف التى يدلون بها اليوم ، لا تتجاوز المادة الطينية ، بل إنهم صاروا يتقاسمون أجزاءها فى هذا الوقت فيما بينهم ، مع عجزهم كذلك عن الإحاطة بدقائق أسرارها ، وشتى مباحثها وعلومها ، فضلا عن العجز عن تخليقها وإبداع مكوناتها ، التى أحاط بها علم الله ، وليس ما يقدمونه اليوم فى هذا الشأن ، إلا أسبابا مرادة لله ، حتى يستوفى المخلوق أجله .

ولذ فإنه عند حلول أجله تتوقف كل الأسباب وكل المعارف ، حيث لا يعرفون سر هذا الروح روح الحياة فى هذه المادة .

قال تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا[٢] » .

(١) حاشية الفتوحات الإلهية ج ٣ ص ٢٢٤

(٢) الآية : ٨٥ من سورة الإسراء .

يقول ابن كثير فى تفسيره : روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكرم الله وجهه أنه قال : « إذا أتت على النطفة أربعة أشهر ، بعث الله تعالى إليها ملكا فنفخ فيها الروح فى ظلمات ثلاث ، فذلك قوله « ثم أنشأناه خلقاً آخر » يعنى نفخنا فيه الروح .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : يعنى فنفخنا فيه الروح « واختاره ابن جرير »[١] .

ويقول القرطبى فى تفسيره : « لم يختلف العلماء أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما ، وذلك تمام أربعة أشهر ، ودخوله فى الشهر الخامس .

ويقول : وعليه يعول فيما يحتاج إليه من الأحكام ، فى الاستلحاق عند التنازع ، وفى وجوب النفقات على حمل المطلقات ، وذلك لتيقنه بحركة الجنين فى الجوف .

وقد قيل : إنه الحكمة فى عدة المرأة من الوفاة بأربعة أشهر وعشر ، وهذا الدخول فى الخامس يحقق براءة الرحم ، ببلوغ هذه المدة ، إذا لم يظهر حمل »[٢] .

هذا ولما كانت هذه الأطوار المختلفة ، وما يتعلق بها من الدقائق والحقائق — دقائق الخلق والإبداع ، والتخليق وغيره من الأسرار ، مما تستوجب الثناء على الله ، الخالق البارىء المصور ، فقد هدى سبحانه وتعالى إلى تلك الحقيقة الحقة فقال : « فتبارك الله أحسن الخالقين »[٣] .

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٦١

(٢) الجامع لأحكام القرآن ص ٤٤٠٠ ط الشعب .

(٣) الآية : ١٤ من سورة المؤمنين .

إذ المعنى : فتعالى شأن الله الخالق البارىء المصور ، وتقدس فى علمه الشامل ، وقدرته الباهرة ، وإرادته النافذة ، وبركته الفائضة ، وهو سبحانه أحسن الخالقين الذى لاخالق سواه ، ولا مبدع غيره ، ولا مانح للحياة إلا هو ، إذ هو وحده الحى القيوم .

يقول الأستاذ : سيد قطب : وليس هناك من يخلق سوى الله ، فأحسن هنا ليست للتفضيل إنما هى للحسن المطلق فى خلق الله »[1] .

ويقول الألوسى فى تفسيره : « والإلتفات إلى الاسم الجليل . لتربية المهابة وإدخال الروعة ، والإشعار بأن ما ذكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام الألوهية ، وللإيذان بأن حق كل من سمع مافصل من آثار قدرته عزوجل أولاحظه ، أن يسارع إلى التكلم به ، إجلالا وإعظاما لشئونه جل وعلا .

و « أحسن الخالقين نعت للإسم الجليل ، وإضافة أفعل التفضيل محضة ، فتفيده تعريفا إذا أضيفت إلى معرفة على الأصح »[2] .

ويقول أبو السعود فى قوله « أحسن الخالقين » بدل من الجلالة .

وقيل : نعت له بناء على أن الإضافة ليست لفظية .

وقيل : خبر مبتدأ محذوف ، أى هو أحسن الخالقين — أى المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه »[3] .

هذا وقد جاء قوله : « ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى » .

ليفيد أن الله تعالى إنما يثبت فى داخل الأرحام ، من المضغة المخلقة ما يشاء ثبوتة فيها ، إلى وقت معلوم معين ، لا تقديم فيه ولا تأخير هو وقت ولادته .

---

(١) ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٤٥٩

(٢) روح المعانى ج : ١٨ ص ١٥

(٣) إرشاد العقل السليم ج ٦ ص ١٢٦

يقول الألوسى فى تفسيره : « وأدناه ستة أشهر ، وأقصاه عندنا سنتان وعند الشافعى عليه الرحمة أربع سنين »[1] .

أما مالم يشأ الله ثبوته فى الأرحام فيسقطه ، حسب تقديره وإرادته وعلمه ، ولاراد لأمره ولا معقب لحكمه ، قال تعالى : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار »[2] .

ويقول القرطبى فى تفسيره : وقال « ما نشاء » ولم يقل : من نشاء . لأنه يرجع إلى الحمل — أى يقر فى الأرحام ما نشاء من الحمل ، ومن المضغة ، وهما جماد ، فكنى عنها بلفظ « ما »[3] .

ويقول أبو السعود فى تفسير قوله : « ونقر فى الأرحام ما نشاء » استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم .

ويقول : وعدم نظم هذا وما عطف عليه ، فى سلك الخلق المعلل بالتبيين ، مع كونهما من متمماته ، ومن مبادىء التبيين أيضا ، لما أن دلالة الأول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات ، التى من جملتها البعث المبحوث عنه ، أجلى وأظهر .

أى ونحن نقر فى الأرحام بعد ذلك ما نشاء ، أن نقره فيها « إلى أجل مسمى » هو وقت الوضع ، وأدناه ستة أشهر ، وأقصاه سنتان ، وقيل : أربع سنين .

ويقول : وفيه إشارة إلى أن بعض ما فى الأرحام لا يشاء الله تعالى إقراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقطه ، والتعرض للإزلاق لا يناسب المقام ، لأن الكلام فيما جرى عليه أطوار الخلق ، وهذا صريح فى أن

---

(١) روح المعانى ج ١٧ ص ١١٧

(٢) الآية ٨ من سورة الرعد

(٣) الجامع لأحكام القرآن ص ٤٤٠٣ ط الشعب

المراد بغير المخلقة ، ليس من ولد ناقصا أومعيبا ، وأن ما فصل إلى هنا هى الأطوار المتواردة على المولود قبل الولادة »[١] .

وقد جاء قوله تعالى : « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث »[٢] .

ليفيد كذلك أن من دلائل قدرة الله تعالى ، الشاهدة بوحدانيته ، وتفرده بالعزة والقهر ، وجميع صفات الألوهية ، أنه يخلق الناس عند بدء خلقهم فى أعماق بطون أمهاتهم وأرحامهم ، طورا من بعد طور ، كما بين تعالى وفصل ، فى داخل ظلمات ثلاث ، آية من آياته ، وهى ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، لما اقتضته إرادته تعالى وحكمته .

وفى هامش المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية :

أنه فى مؤتمر « الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم » الذى عقد بالقاهرة فى أغسطس سنة ١٩٨٥ أعلن بعض الأطباء من غير المسلمين إسلامهم ، لأنهم اكتشفوا أن الغشاء ، الذى يحمى الطفل فى بطن أمه ، مكون من ثلاث طبقات دقيقة ، وأنهم لم يكتشفوا هذه الحقيقة إلا أخيرا ، ثم علموا أن القرآن الكريم قد تحدث عنها منذ ألف وأربعمائة عام فى هذه الآية الكريمة ، فكان إسلامهم عن قناعة علمية كاملة »[٣] .

وبعد تمام نفخ الروح فى المضغة ، التى خلقها الله تعالى وصورها ، ونقلها من طور إلى طور ، يأخذ هذا المخلق والجنين ، فى النمو يوما بعد يوم ،

(١) إرشاد العقل السليم ج ٦ ص ٩٤
(٢) الآية ٦ من سورة الزمر
(٣) المحرر الوجيز ج ١٢ ص ٥٠٤

بما هيأه الله تعالى له من الوسيله ومن الغذاء ومن التنفس وغيره ، آية أخرى من آياته ، شاهدة بتمام الفضل وعظم الغاية المرادة له تعالى .

يقول الأستاذ : عبد الرزاق نوفل :

« وانظر إلى الجنين كيف يتغذى فى بطن أمه ، وكيف يتنفس ، وكيف يقضى حاجاته ، وكيف تفرز أجهزته ، أو كيف تعلق فى الرحم ، وكيف أن الحبل السرى الذى يربطه بأمه ، ليتغذى منها قد روعى عند تكوينه ما يحقق الغرض ، الذى تكون من أجله ، دون إطالة قد تسبب تخمر الغذاء فيه ، أو قصر يؤدى إلى اندفاع الغذاء إليه بما قد يؤذيه .

إذا فكرنا فى ذلك ، فلا نملك إلا أن نعترف بقدرة الصانع ، ولطف الخالق »[١] .

وفى قوله : « ثم نخرجكم طفلا »[٢] :

بيان بأن الله تعالى إنما يخرج هذا الجنين ، الذى خلقه وشق سمعه وبصره ، وجميع أعضائه الظاهرة الباطنة ، ونفخ فيه من روحه ، عند حلول الأجل المسمى وهو وقت الولادة ، يخرجه طفلا ضعيفا نحيلا ، وقد هيأ له غذاءه فى ثدى أمه ، وهداه إلى الرضاعة ، التى بين مدة كما لها فى قوله عز شأنه : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة »[٣] .

وفى قوله : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين »[٤] أى وفطامه وفصله عن الرضاع فى تمام عامين » .

(١) انظر كتابه : الله والعلم الحديث .
(٢) الآية ٥ من سورة الحج .
(٣) الآية ١٣٣ من سورة البقرة .
(٤) الآية ١٤ من سوره لقمان .

وقوله : « ثم لتبلغوا أشدكم » :

معناه : ثم لتصلوا بعد هذه المرحلة ، إلى تمام قوتكم وماقدره الله لكم منها ، من القوة البدنية ، والقوة العلمية ووسائلها ، لما اقتضته ، إرادته ، من بلوغ هذه المرحلة .

« ومنكم من يتوفى » :

أى ومنكم من ينتهى أجله فى حال أشده وقوته بانتهاء أجله .

يقول أبو السعود فى تفسيره : « وإيراد الرد والتوفى على صيغة المبنى للمفعول ، للجرى على سنن الكبرياء ، لتعيين الفاعل »[1] .

« ومنكم من يرد إلى أرذل العمر » :

أى ومنكم من يترك إلى حال الشيخوخة والهوم ، وضعف القوة والعقل ، وظهور سمات هذا الضعف ، وهو ما يرشد إليه كذلك قوله تعالى « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة » .

وقوله : « لكيلا يعلم من بعد علم شيئا »[2] :

معناه : لكيلا يعلم الإنسان فى هذا الحال ، من بعد علم غزير ، أى شىء من العلم ، آية أخرى من آيات الله ، شاهدة بضعف هذا الإنسان ، وأن الله تعالى الذى خلقه ، وأظهر له دلائل قدرته ، وهو فى رحم أمه ، ثم بعد أن أخرجه إلى الحياة الدنيا طفلا ، ثم قواه ، ثم أعاده إلى أضعف حال ، لا يعجزه أن يبعثه بعد موته يوم القيامة ، للعرض والحساب ، وهو ما أرشدت إليه سائر آيات خلق الإنسان فى القرآن الكريم ، وهو ما يجب الإيمان واليقين به ، دون أدنى شك فى ذلك ، بهذا الدليل والبرهان ، الذى

(١) إرشاد العقل السليم ج ٦ ص ٩٥

(٢) الآية ٥ من سورة الحج

يعد أحد أدلة إمكان حصول البعث ، وحقيقة وقوعه ، فى القرآن المجيد لدى كل ذى بصر من الراشدين .

وفى مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : « وإذا تأملت ما دعى الله سبحانه فى كتابه إلى الفكر فيه ، أوقفك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته ، وصفات كماله ، ونعوت جلاله ، من عموم قدرته وعلمه ، وكمال حكمته ، ورحمته وإحسانه ، وبره ولطفه ، وعدله ورضاه ، وغضبه وثوابه وعقابه ، فبهذا تعرف إلى عباده ، وندبهم إلى التفكر فى آياته ، ونذكر لذلك أمثلة مما ذكرها الله سبحانه فى كتابه ، ليستدل بها على غيرها .

« فمن ذلك خلق الإنسان ، وقد ندب سبحانه » إلى التفكر فيه ، والنظر فى غير موضع من كتابه كقوله تعالى : « فلينظر الإنسان من خلق » ، وقوله : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ، وقال تعالى : « يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا » .

وقال : « أيحسب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » .

إلى غير ذلك من الآيات التى سبق لك ذكرها وقد أعقبها بقوله :

« وهذا كثير فى القرآن ، يدعو العبد إلى النظر والفكر ، فى مبدأ خلقه ووسطه وآخره ، إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره ، وأقرب شىء إلى الإنسان نفسه ، وفيه من العجائب الدالة على

عظمة الله ما تنقضى الأعمار فى الوقوف على بعضه ، وهو غافل عنه ، معرض عن التفكر فيه ، ولو فكر فى نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره ، قال الله تعالى : « قتل الإنسان ما أكفره . من أى شىء خلقه . من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسره . ثم أماته فأقبره . ثم إذا شاء أنشره »[1] .

فلم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ، ذكر هذا لتسمع لفظ النطفة والعلقة والمضغة والتراب ، ولا لنتكلم بها فقط ، ولا لمجرد تعريفنا بذلك ، بل لأمر وراء ذلك كله ، هو المقصود بالخطاب ، وإليه جرى ذلك الحديث .

ثم يقول : « فانظر الآن إلى النطفة بعين البصيرة ، وهى قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر ، لو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وانتنت ، كيف استخرجها رب الأرباب ، العليم القدير ، من بين الصلب والترائب .. إلخ ما ذكر فى ذلك من الدعوة إلى النظر فى خلق الإنسان وأعضائه وأجزائه وهيأتها وبديع حسنها وزينتها ، وعجائب هذا الخلق وما فيه من الأمور الباطنة . . »[2] .

وبعد : فلقد كانت تلك هى جملة آيات خلق ذرية الإنسان فى القرآن الكريم ، الهادية إلى أطوارها طوراً بعد طور ، وخلاصة معانيها المؤتلفة ، وما تهدى إليه من الدقائق ، وترشد إليه من الحقائق ، فاحرص على دوام قراءتها ، والنظر فيها وفى مختلف مفرداتها المحكمة ، وتابع البحث

---

(١) الآيات : ١٧ - ٢٢ من سورة عبس .

(٢) انظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : لابن قيم الجوزية ح ١ ص ١٨٧ .

عن مكنون أسرارها ، التى لا تنفد ، بقلب سليم ، وفكر وعقل مستنير ، حتى تظفر من الله تعالى بمزيد هديها الذى لا ينضب ، إذ هو الذى وعد بذلك ، ووعده لا يتخلف فقال : « والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم »[1] .

وقال : « الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين »[2] .

وقال : وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون »[3] .

نسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، أن يبصرنا جميعاً بنور آيات كتابه المسطورة ودلائل كونه المنظور ؛ وأن يهدينا سواء السبيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ا د / مسموع أحمد أبو طالب

---

(١) الآية : ١٧ من سورة محمد .

(٢) « : ٦٩ من سورة العنكبوت .

(٣) « : ٢٠ ، ٢١ من سورة الذاريات .